﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ١٢٠﴾ [الأنعام: 120]

❁ مُنَاسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بيانُ الأحكامِ التي يلحقُها الاستثناءُ منَ الأحكامِ التي لا استثناءَ فيها

لمّا بيّنَ الحقّ ﷻ في الآيةِ السابقةِ أنّهُ فصّلَ المُحَرَّماتِ إلّا ما اضطُرّوا إليهِ، أتبعهُ بما يجبُ تركهُ بالكلّيةِ وهي الذّنوبُ الظّاهرةُ وهو ما يقترفهُ الإنسانُ بجوارحِه، والباطنةُ وهو ما يَنْويهِ ويقصدهُ بقلبِه[1]، فالمناسبةُ بين الآيتين بيانُ الأحكامِ التي يلحقُها الاستثناءُ منَ الأحكامِ التي لا استثناءَ فيها، بغرضِ بناءِ الشَّخصيَّةِ المنضبطةِ بشرعِ اللهِ تعالى، وعدمِ تجاوُزِ حدودِه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَذَرُواْ﴾: فعلُ أمرٍ مسنَدٌ إلى وَاوِ الجماعةِ، الجذرُ اللّغويّ منهُ (وذر)، والفعلُ الماضي منهُ متروكٌ، أماتتهُ العربُ وأبقتِ الحاضرَ والأمرَ، وهوَ بمعنى التّركِ؛ ولذلكَ استغنَوْا بالفعلِ (تركَ) عنِ الفعلِ (وذرَ)، وسُمعَ المصدرُ (وذرٌ)، و"يقالُ: فلانٌ يذرُ الشّيءَ، أيْ: يقذفهُ لقلّةِ اعتدادِهِ بهِ"، فقدْ فُسِّرَ قولهُ: ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [الأنعام: 91] بمعنى القذفِ والإلقاءِ والتّركِ فلا يعتدُّ بهم ولا يبالَى لهم[2]، ومعنى ذروا ظاهرَ الإثمِ وباطنَه: اتركوا هذينِ الأمرينِ[3] فهو على معناهُ في لسانِ العربِ.

2) ﴿ظَٰهِرَ﴾: اسمُ فاعلٍ، جذرهُ اللغويّ (ظهر)، والمصدرُ منهُ الظّهورُ وهو البدوُّ وخلافُ البطنِ، وهوَ ضدّ الاستتارِ، والظّاءُ والهاءُ

(1) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 8/403.
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين، عمدة الحفاظ: (وذر).
(3) الشنقيطي، العذب النمير: 2/225.

والرّاءُ أصلٌ يدلُّ على "قُوَّةٍ وَبُرُوزٍ، مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا فهو ظَاهِرٌ، إِذَا انْكَشَفَ وَبَرَزَ"، والظّهورُ هو عدمُ الخفاءِ فيمكنُ الوقوفُ عليهِ ومعرفتُه لبروزِهِ، وسمّيتِ الظهيرةُ كذلكَ لوضوحِها، ويستعملُ الظّهورُ في الأمورِ المادّيةِ والمعنويةِ كقولهمْ: ظهرَ أمرُ اللّهِ "أيْ: بدا ما وعدَ اللّهُ بهِ رسولَهُ والمؤمنينَ منَ النّصرِ، وفشا دينُ الإسلامِ". وظاهرُ الإثمِ ما يعمُّ منَ المعاصي والمحرّماتِ، كالشّركِ ونكاحِ المحرّماتِ والطّوافِ عرايَا[1]، وظواهرُ الإثمِ هي المعاصي التي تكونُ بالجوارحِ[2].

3) ﴿وَبَاطِنَهُۥۚ﴾: اسمُ فاعلٍ، جذرهُ اللّغويُّ (بطن)، والبطنُ خلافُ الظّهرِ وهو ما غَمَضَ منَ الأرضِ، "وَبَاطِنُ الأَمْرِ دَخْلَتُهُ، خِلَافُ ظَاهِرِهِ، وَاللّهُ تَعَالَى هو البَاطِنُ؛ لِأَنَّهُ بَطَنَ الأَشْيَاءَ خُبْرًا"، وما لا تدركهُ الحاسّةُ ويخفى عليها يُسمّى بطنًا، ويكونُ البطنُ في المعاني ما يحتاجُ إلى تفسيرٍ وتبيينٍ، وسائرُ ما وردَ في القرآنِ الكريمِ هو على مَعْنَى الخفاءِ[3]، والمعنيُّ بباطنِ الإثمِ معصيةُ اللّهِ في سرّهِ، وفُسِّرَ بأنّهُ الزّنا[4].

4) ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾: فعلٌ للحالِ أوِ الاستقبالِ مسندٌ إِلَى وَاوِ الجماعةِ، جذرهُ اللّغويّ (قرف)، وقَرَفُ الشّيءِ: القشرُ أوِ الغلافُ الملاصقُ لهُ، ومنهُ أُخِذَ مَعْنَى الملابسةِ والملاصقةِ، والقرَفُ في الشّيءِ: الوقوعُ فيهِ ومنهُ اقترافُ الذّنبِ، أيْ: فعلهُ وإتيانهُ، والقافُ والرّاءُ والفاءُ أصلٌ يدلُّ على المخالطةِ والالتباسِ بالشّيءِ فيكونُ بمعنى الاكتسابِ؛ لأنَّ فيهِ ملابسةً وادّراعًا، "والاقترافُ في الإساءةِ أكثرُ استعمالًا؛ ولهذا يقالُ: الاعترافُ يزيلُ الاقترافَ، وقرفتُ فلانًا بكذا: إذا عبتهُ بهِ أوِ اتّهمتهُ "وهوَ أيضًا المقاربةُ والملاصقةُ. ومعنى: يقترفونَ: يعملونَ ويتعاطَوْنَ الذّنوبَ[5]، واقترافُهم اكتسابُهم لها في الدنيا[6].

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ظهر).

(2) سهل التستري، تفسير التستري، ص: 62.

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بطن).

(4) ابن جرير، جامع البيان: 12/72.

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قرف).

(6) البغوي، معالم التنزيل: 3/183.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يأمرُ الحقُّ ﷻ عبادَهُ المؤمنينَ أنْ يجتنبُوا المعاصيَ جميعًا، وأنْ يجانبوا اقترافَها في العلنِ وفي السّرِّ، ثمَّ أخبرَ أنَّ منْ خالفَ أمرَ اللّه واكتسبَ الإثمَ فسوفَ يَجزيهِ الجزاءَ الأوفى؛ طباقَ ما اقترفَ منَ المعاصي والذنوبِ.

المؤمنُ الحقُّ منْ هجرَ ظاهرَ الذّنوبِ وباطنَها؛ فإنّ اكتسابَ الإثمِ مصيرهُ الجزاءُ الوخيمُ

وترشدُ الآية الكريمةُ إلى أنه لا يتمُّ للعبد تركُ المعاصي الظّاهرةِ والباطنة إلا بعد معرفتها والبحثِ عنها، فيكونُ البحثُ عنها ومعرفةُ معاصي القلب والبدن والعلمُ بذلك واجباً متعيِّناً على المكلَّف[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو في قولِه تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾:

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ إمَّا أن تكون اعتراضيَّةً، والمعنى أنَّ تركَ الإثمِ هو مناطُ الزّهدِ والتّقرّبِ إليه تعالى لا تركَ المباحِ[2]، وهو نظيرُ قولِه تعالى: ﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: 177].

الواوُ إمَّا اعتراضيّةٌ للبيانِ والاحترازِ، وإمَّا عاطفةٌ للإنشاءِ على مثيلِه

وإمَّا أن تكون عاطفةً أمرَ تركِ ظاهرِ الإثمِ وباطنه، على قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾، من قَبيل عطفِ الإنشاءِ الطّلبيِّ على مثله، فأمرهم أوَّلًا بالأكلِ منَ المشروعِ، ثم أمرهم بترك المحرّمات جملةً.

غرضُ الأمرِ في قولِه تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾:

تصدّرَ فعلُ الأمرِ (ذروا) قولَه تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾، ومعنى الفعلِ (ذروا) هنا اتركوا ولا تخالطوا، ومرادُ الفعلِ هنا النّهيُ عنْ أنْ يُقدمَ الإنسانُ على ارتكابِ الإثمِ، وليظهرَ أنَّ المسوّغَ في ذلكَ التّركِ هوَ خشيةُ اللّهِ تعالى لا خوفُ النّاسِ[3].

تركُ الإثمِ غايتهُ الخوفُ منَ اللهِ لا منَ الناسِ

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 143.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ37.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/130.

بلاغةُ التّعبير بقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾، وتخصيصِ الفعل: (ذروا):

المطلوبُ هو التّخلصُ من ذات الإثم بالمبادرة والإسراع

يثيرُ التّأمّلُ في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وجوهَ الدِّقة والجمال في اختيار الألفاظ والتّراكيب، فقد استُخدم هنا فعلُ الأمر: ﴿وَذَرُواْ﴾، الدالُّ على ترك كلّ ما هو حرام أو مكروه، سواء كان معلومًا أو خفيًّا، وسواء كان في القول أو في الفعل أو في النية، دون التعبير بالفعل: (اتركُوا)، أو (دعُوا)، ونحوهما منَ الألفاظ المقاربة له في المعنى؛ وذلك أنَّ لفظ (ذروا) يدلُّ على المبادرة والإسراع في التّخلّص منَ الإثم، فلا يتأخَّر المؤمن عن تركه ولا يتردَّد فيه، بل يبادر إلى ذلك بقوة وحَمَاسَةٍ، وهذا يختلف عن لفظ (اتركوا) أو (دعوا)، فإنّهما يدلّان على المزايلة والبُعد، ولكن لا يشترط فيهما السّرعةُ والحزم. ويومئُ فعلُ ﴿وَذَرُواْ﴾ إلى الحذر والتّوقّي من الإثم، فلا يقتربُ المؤمنُ منه، ولا يجعلُ له موطئَ قدمٍ له في قلبه أو جوارحه، بل يُزيلُه بعيدًا عن نفسه ويستعيذُ باللّه منه؛ لذلك اختير هذا الفعلُ بحكمة ودقّة وعنايةٍ، فإنّه يحملُ معانيَ لا يحملُها غيرُه منَ الأفعال، فقد سُبِك في النَّظم ليوافقَ مقصودَ الآية منَ التّحذير منَ الإثم والحثِّ على التّقوى، وهو ما لا يحملُه – مثلًا – قولُ: "اتركوا ظاهر الإثم وباطنه"؛ لأنَّ التّرك قد يكون بسبب ضعفٍ أو خوفٍ أو حيلةٍ، فأخبر سبحانه أنَّ المطلوبَ هو التّخلّصُ من ذات الإثم كيفما كان، وبأيِّ صفة تلبَّس.

حكمةُ تقديم لفظِ ﴿ظَٰهِرَ﴾ على ﴿بَاطِنَهُۥٓۚ﴾:

وجوبُ التّخلّص من ظواهر المحرّم، وُصولًا إلى بواطنِه

إنَّ تقديمَ لفظِ ﴿ظَٰهِرَ﴾ على ﴿بَاطِنَهُۥٓۚ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ ترتيبٌ مقصودٌ؛ وذلك أنَّ لفظ ﴿ظَٰهِرَ﴾ يدلُّ على أوّليات التَّرك في التّخلّص منَ الإثم، فإنَّ المؤمن يجبُ أن يبدأ بترك ما هو ظاهرٌ منَ الإثم، فإنّه أشدّ ضررًا على نفسه وعلى

المجتمع، وأكثرُ انتشارًا وتأثيرًا، فإذا ترك المؤمن ظاهرَ الإثم، فقد قطع سبيلَه إلى باطنه، وسهَّل على نفسه وروَّضها على التّخلّص منه؛ فالتّقديم لظاهر الإثم دليلٌ على أوّلية التّخلّص من ظواهر المحارم، وأنَّ لفظَ ﴿ظَٰهِرَ﴾ يدلُّ على التّدرّج والتّسلسلِ في التّخلّص منَ الإثم، فإنَّ المؤمن يسيرُ في طريق التّقوى بخطوات متواليةٍ ومتّزنةٍ، فلا يقفز من حال إلى حال، ولا يتخطَّى من درجة إلى درجة، بل يبدأ بأسهلِ ما عليه منَ التّخلّص منه منَ الآثام، وهو ظاهرُها، ثم ينتقلُ إلى أصعبِ ما عليه منَ التّخلّص منها، وهو باطنُها؛ فالتّقديم لظاهر الإثم دليلٌ على أنَّ على المؤمن أن يبدأ بترك ما هو أسهلُ عليه منَ التّخلّص من الإثم، ثم يتقدَّم إلى ما هو أشقُّ عليه.

سرُّ إيثارِ استعمالِ لفظِ ﴿ٱلْإِثْمِ﴾ دونَ مُرادِفاتِه:

الإثمُ هوَ البُطءُ عنْ فعلِ الخيرِ، فهو يطلقُ على كلّ شرّ وعلى كلّ مخالفةٍ لأمرِ الحقّ ﷻ، وهو عامٌّ في الفاحشةِ وفي غيرِها، فهو يشملُ كلَّ ما يضرُّ منَ الصّغائرِ والكبائرِ[1]، فهوَ لفظٌ جامعٌ لأنواعِ الشّرورِ والموبقاتِ والذّنوبِ، ويطلقُ على كلِّ ما خالفَ أمرَ الحقِّ ﷻ؛ فحسُنَ أنْ يكونَ في هذا الموضعِ، فهوَ جامعٌ للمعاني الجمّةِ.

الإثمُ لفظٌ جامعٌ لكلِّ أنواعِ الشّرّ وما نَهَى اللهُ عنه

معنى التَّعريفِ في لفظِ ﴿ٱلْإِثْمِ﴾:

الإثمُ لفظٌ معرَّفٌ في قولِه تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ للاستغراقِ، يشملُ الظّاهرَ والباطنَ وهما وصفانِ يُقصدُ منهما تعميمُ أفرادِ الإثمِ، فهم منحصرون في هذينِ الوصفينِ[2]، مثلمَا يقالُ: المشرقُ والمغربُ في قولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: 115]؛ فإنَّ القصدَ هنا استغراقُ الجهاتِ كلّها لا الاقتصارُ على هاتينِ الجهتينِ فجميعُ الجهاتِ لهُ تعالى.

الألفُ واللامُ للاستغراقِ ويشملُ الظّاهرَ والباطنَ لقصدِ تعميمِ أفرادِ الإثمِ

(1) رضا، تفسير المنار: 8/165، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2648.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ37.

بلاغةُ المجازِ بالحذفِ في التّعبيرِ بـ ﴿ٱلْإِثْمِ﴾:

المطلوبُ تركُ الإثم ما وقع وما سيقعُ مستقبلا

التّعبيرُ بالإثم في قولِه تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ مجازٌ بالحذفِ؛ لأنّ الإثمَ هو الذّنْبُ، وهو ليسَ مقصودًا لذاتِه، فالأمرُ يتّجه إلى تركِ ما يُوجبُ الإثمَ[1] وما يلزمُ منَ الوقوعِ فيه، ونكتةُ ذلك تبشيعُ مقتضياتِ الإثم ودواعِيه وأسبابِه؛ بذكرِ مآلها وهو تحقيقُ الإثمِ واقعًا في المستقبلِ؛ فإنَّ ذلك أدعى لتركِه، وهو أمرٌ كذلك لتركِ الإثم المتحقّقِ واقعًا في الماضي والحاضر، وهذا أبلغُ في النَّهي، وأدقُّ في استجماع المعاني.

بلاغةُ الاستِعَارَةِ في مُقَابَلةِ ظاهرِ الإثمِ لباطنِه:

الواجبُ تركُ الذّنوب والمعاصي جملةً

التّعبيرُ بالظّاهرِ والباطنِ في قولِه تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ منْ بابِ الاستعارةِ، ومقتضى هذهِ المقابلةِ تشبيهُ الإثمِ بإنسانٍ لهُ ظاهرٌ وباطنٌ، أيْ: ظهرٌ وبطنٌ، ولاسيّما باطنُ الآثمِ الذي لا يطّلعُ عليهِ النّاسُ؛ لأنّهُ واقعٌ في السرِّ، فتركُ الظاهرِ والباطنِ يستوفيانِ المعاصي جميعًا ومن جميعِ الجهاتِ[2]، والمغزى منهُ أنْ يتركَ الإنسانُ الذنوبَ والمعاصيَ على وجهِ الجملةِ.

استيفاءُ المعاني، والأزمان وظواهر الأبدان، وبواطن الإنسان من بديعِ إعجاز القرآن

ويتحقَّقُ بهذه النُّكتةِ مع النِّكات الثلاثِ التي قبلها استيفاءُ جَميعِ أنواعِ الإثم، في الماضي والحاضر والمستقبل، الظَّاهر والباطن، وهذا من بديعِ شأنِ القرآنِ أن يستحضر المعانيَ، والأزمانَ، وظواهرَ الأبدان، وبواطنَ الإنسان، فيأتي بنظمٍ شاملٍ ليدفعَ أيَّ فهمٍ غيرِ مُراد.

دلالةُ ﴿إِنَّ﴾ في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾:

التّوكيدُ تعقيبٌ دالٌ على التّعليلِ وإنذارٌ وإعذارٌ للمأمورين

دخولُ ﴿إِنَّ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ يقومُ مقامَ العلّةِ والسّببِ في تعقيبِ أمرِه تعالى للمأمورينَ بتركِ ظاهرِ الإثمِ وباطنِه، وفيها إنذارٌ وإعذارٌ لمنْ صدرَ بحقّهمْ تركُ الإثمِ

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/130، والشيخ زاده، حاشية الشيخ زاده: 4/131.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/339، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/130.

ظاهرًا وباطنًا، وهيَ تُغني عنِ الفاءِ الدّالّةِ على السببيةِ[1]، ومثالُها المشهورُ قولُ بشار بنِ بُرْد[2]:

بَكِّرا صاحبيَّ قبلَ الهَجِيرِ *** إنّ ذاك النجاحَ في التَّبْكيرِ

نكتةُ استِعمالِ الاسمِ الموصولِ في: ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

تعيينُ علّةِ الجزاءِ

أوردَ المسندَ إليه اسمًا موصولًا ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ﴾، ونكتةُ ذلكَ الإشارةُ إلى أنّ صلةَ الاسمِ الموصولِ ﴿يَكۡسِبُونَ﴾ هي علّةُ الجزاءِ الذي يعمُّ كلَّ مَن يرتكبُه[3]، أي: يكسبون الإثمَ معَ القصدِ والإصرارِ عليه.

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المُضارِعِ في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ﴾:

تبشيعُ صورةِ الآثمِ، وبيانُ أنَّ الإثمَ يأتي تدريجيًّا

عبّرَ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَكۡسِبُونَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ﴾ لإفادةِ التّجدّدِ والاستمرارِ في اكتسابِ الإثمِ، وأنّهم سيلْقَون جزاءَ إثمِهم بقدرِ استمرارِهم فيه[4]، وفيه تبشيعُ صورةِ الآثمِ، وبيانُ أنَّ الإثمَ يُكتسبُ تدريجيًّا، ولا يأتي دُفعةً واحدة، وعليه فالتَّعبير بالمضارعِ يُفيد توجيهًا تربويًّا، بعدم الاستسلام لخطوات الشَّيطانِ، ونبذِها بدفع وساوسه.

بلاغةُ إظهارِ ﴿ٱلۡإِثۡمِ﴾:

احتراسٌ ونصٌّ على أنَّ الإثمَ يعمُّ الظَّاهرَ والباطنَ

مجيء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ﴾ بعدَ قولِه: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ فيهِ إظهارُ ما حقُّهُ الإضمارُ، فإنّهُ لمّا أظهرَ لفظةَ الإثمِ في الجملةِ الأولى أعادَها ظاهرةً في الجملةِ الثانيةِ وحقُّها الإضمارُ؛ لتحقيقِ مجموعةٍ منَ الفوائد:

الأولى: دفعُ الإيهام، فهو منْ بابِ الاحتراسِ[5] فإنّهُ لوْ أضمرها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ38.
(2) بشار بن برد، ديوانه: 3/203.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2649.
(4) رضا، تفسير المنار: 8/19.
(5) الاحتراس أن يأتي المتكلّم بمعنًى فيه دَخَلٌ وطعن فيفطن له، فيأتي بما يزيل ذلك الوهم ويخلّصه منه. يُنظر: القَزْويني، الإيضاح، ص: 192.

بقولِه: (يكسبونه)؛ لتوهّمَ المخاطَبُ أنَّ الضّميرَ عائدٌ على (ظاهرِه) أوْ على (باطنِه).

الثّانية: النَّصُّ على أنّ المقصودَ بالظّاهرِ والباطنِ الإثمُ كلُّه.

الثّالثةُ: الزّيادةُ في التّنديدِ بالإثمِ، ولتستقرّ أكملَ استقرارٍ في ذهنِ السّامعِ[1] فيحذرَ منها ويجتنبَها.

الرّابعةُ: قطعُ الجملةِ عن سابقتِها؛ فتكونُ جملةً مستقلةً فتصيرُ كالأمثالِ والحكمِ[2] في دورانِها على الألسنةِ ويُستشهدُ بها في الأحوالِ المماثلة.

فائدةُ بناءِ الفعلِ للمفعولِ في قولِه: ﴿سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾:

قولُه: ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ مبنيّ للمفعولِ، أيْ: سيجزيهم اللّهُ تعالى، وفائدةُ بناءِ فعلِ الجزاءِ للمفعولِ الإيماءُ إلى أنَّ العاقلَ منْ خلقِه مَنْ خافَ مِنْ مطلقِ الجزاءِ سواء ذُكرَ المجازي أمْ لمْ يذكرْ؛ فإنَّ الوعدَ واقعٌ لا محالةَ[3].

الـــذي يـملـكُ المجازاةَ على وجه التّحقيق هو الله جلّ وعلا

معنى الباءِ في قولِه: ﴿سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ ونكتتُها:

الباءُ في قولِه تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ للسببيةِ[4]؛ فإنّهم قد استحقّوا الجزاءَ الأخرويَّ بسببِ أفعالِهم وما اكتسبوا منَ الآثامِ والمعاصي، ونكتةُ استعمالِها: الإيماءُ إلى ندمهم على أفعالِهم السَّيِّئةِ يومَ القيامة؛ فإنَّ ذكرَ أسبابِ العذابِ يُورِثُ شديدَ النَّدم، ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: 66 - 67]، فتركُ طاعةِ اللّه والرَّسولِ وطاعةُ الأغيارِ يُوقعُ في النَّار.

يومُ القيامة يومُ الجـزاءِ والنّـدم على ما فات

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ38.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ38.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/245.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 7/245.

بلاغةُ ذكرِ ﴿كَانُواْ﴾ في قولِه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾:

في الإثـمِ إفسادٌ للفطرةِ وتدسيةٌ للنفسِ بالإصرارِ عليه ومعاودتِه مرةً إثرَ أخرى

التّعبيرُ بالفعلِ النّاقصِ ﴿كَانُواْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ دون أن يقول: (بما اقترفوا)، يتوفّرُ على نُكتةٍ بلاغيةٍ؛ فإنّهم كانوا "يُبالغونَ في إفسادِ فطرتِهمْ، وتدسيَةِ أنفسِهمْ بالإصرارِ عليهِ ومعاودَتِهِ المَرَّةَ بعدَ المَرَّةِ، كما يدلُّ عليهِ فِعلُ الكونِ"[1].

سرُّ استعمالِ ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾ بدلًا من (يكسبون):

الاقـترافُ صيغةُ مفاعلةٍ تدلّ على المبالغةِ وتُـؤْذنُ بأمرٍ ذميمٍ

استُعمِلَ الفعلُ ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ عوضًا عن الفعلِ (يكسبون)؛ لأنَّ الكسبَ عامّ في الخيرِ والشرِّ، والاقترافُ صيغةُ (افتعال)، ويرادُ به إذا أطلقَ كسبُ السيئاتِ، وصيغةُ الافتعالِ تكون فيه لِلمبالغةِ وهي مُؤذنة بأمرٍ ذميمٍ، وهذه الصّيغةُ دالّةٌ على أنّ أفعالَ الشرّ لا تحصلُ إلّا بالمعالجةِ منَ النفسِ للفطرةِ السّليمةِ[2]، وآيةُ ذلكَ أنّهُ ذكرَ جزاءَهمُ الذي سيُجزَونهُ نظيرَ اكْتِسَابِهِمُ السّيئاتِ.

دلالةُ حذفِ مفعولِ ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾:

الاقـــــترافُ مـخـصـوصٌ باكتسابِ الشّرّ

في قولِه تعالى: ﴿سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ مجازٌ بالحذفِ، فَقَدْ حذفَ مفعولَ ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾؛ لأنَّ الاكتسابَ لا يكونُ إلا في الشّرِّ، والمعنى: يقترفونَ إثمًا أوْ شرًّا، وقد يكونُ قيدًا مثل: يقترفون في الدُّنيا، وإطلاقُ الفعلِ دون تقييده بمفعولٍ أو قيدٍ يُعطيه عمومًا دلاليًّا بديعًا، كما أنَّه يُعطي الفعلَ رسوخًا في شخصيَّاتهم، فهم يقترفون لأنَّهم مُقترفون، كما نقول فلانٌ يتَّقي اللّه لأنَّه تقيٌّ، أي: أنَّهم يتّصفون بصفة الاقترافِ، فهي صفةٌ راسخةٌ فيهم، وهذا يدلُّ على ثبات الإثم والشَّرِّ فيهم.

(1) رضا، تفسير المنار: 8/19.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/245، وابن عاشور: التحرير والتنوير: 8/أ38.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الباطن والخفي:

الخفيُّ منَ الخفاءِ وهو منَ الكتمانِ، وأصلُهُ منَ السَّترِ أيضًا وهو مقاربٌ له[1]، أمّا الباطنُ فهو خلافُ الظّاهرِ في كلّ شيءٍ[2]، والتّعبيرُ عنِ الإثمِ بالباطنِ أنسبُ معَ مخالفِه وهو الظّاهرُ؛ فإنَّ الظّاهرَ يعبّرُ عنِ المحسوساتِ والباطنَ عنِ المعقولاتِ أوِ الجهرِ والسرِّ، فالأولُ ما يطّلعُ عليهِ الخلقُ والثاني ما يُردُّ إلى الحقّ[3]، وبينهما وشائجُ وعلائقُ، فكثيرًا ما يرتبطُ أحدُهما بالآخرِ عندَ ذكرِهما كقولِه تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 20]، فالتّعبيرُ عنِ الإثمِ بالباطنِ دونَ الخفيِّ أحسنُ وأقومُ وأهدى دلالةً لمقصودِ الآيةِ الكريمةِ.

الباطنُ خلافُ الظّاهرِ في كلِّ شيءٍ والخفيُّ منَ الكتمانِ والسّرِّ

الإثم والذّنب والمَعْصِيَةُ:

المعنى اللّغويّ للإثمِ هو التّقصيرُ، من أثِمَ يأثَمُ إذا قصَّرَ، ثمّ إنّ الإثمَ لا يكونُ إلّا تعمّدًا، أمّا الذّنْبُ فهو قرينُ الذمّ أو ما يُتتبّعُ عليه العبدُ منَ الأفعالِ القبيحةِ، والذّنْبُ من رذْلِ الفعلِ كالذّنَبِ الّذي هو أرذلُ شيءٍ وآخرُه، أمّا المعصيةُ فهي الشّيءُ المنهيُّ عنه، وينبئُ عنِ الكراهةِ في فعلِها[4]، ومّما تقدّمَ فإنّ الإثمَ هو أكبرُ المعاصي، وآيةُ ذلكَ أنّه جعلَ له ظاهرًا وباطنًا وهو يحصلُ عن تعمّدٍ خلافَ الذّنْبِ والمعصيةِ؛ فلذلكَ وردَ في الآيةِ تنبيهٌ لذوي الألبابِ الذين وصلَ لهم القولُ عنه ظاهرًا كالغيبةِ والنّميمةِ وأكلِ الحرامِ وسواها، وباطنًا ممّا لا يعرفهُ الخلقُ منَ الحسدِ وسوءِ الظنّ والبدعةِ وإضمارِ الشّرّ للناسِ وغيرِ ذلك من ذميم أعمالِ القلوبِ.

الإثمُ ما كانَ متعمَّدًا وله ظاهرٌ وباطنٌ، والذّنْبُ قرينُ الذّمّ، والمعصيةُ ما تُنبئ عن كراهةِ فعلِها

(1) الجوهري، الصحاح: (خفى)، وابن فارس، مقاييس اللغة: (خفي).
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة: (بطن)، والراغب، المفردات: (بطن).
(3) السمين، عمدة الحفاظ: (بطن).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 15، 122، 244، 503.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»